

# العجوز والسيدة الثانية

بقلم د. عبد الحميد عبد القصور  
رسم د. إسماعيل دياب  
إشراف د. حسني مصطفى



لَمَّا انْتَهَتْ صَاحِبَةُ الْبَيْتِ مِنْ سَرْدِ حِكَايَتِهَا الْغَرِيبَةِ ، تَعَجَّبَ  
الْخَلِيفَةُ ، وَتَعَجَّبَ الْحَاضِرُونَ ، وَنَظَرَ الْخَلِيفَةُ (هَارُونَ الرَّشِيدُ) إِلَى  
السَّيِّدَةِ الثَّانِيَةِ قَائِلًا :

- وَأَنْتِ مَا هِيَ حِكَايَتُكَ ، وَمَا هُوَ سَبَبُ الضَّرْبِ الَّذِي رَأَيْتَنَاهُ عَلَى

جَسَدِكَ ؟

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ الثَّانِيَةُ :

- لَقَدْ مَاتَتْ أُمِّي وَأَنَا صَغِيرَةٌ ، قَرِيبَانِي أَبِي حَتَّى كَبُرْتُ .. ثُمَّ  
تَوَفَّى وَالِدِي وَتَرَكَ لِي مَالًا كَثِيرًا .. وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ كَثِيرٍ ، حَتَّى  
تَزَوَّجْتُ مِنْ رَجُلٍ ثَرِيٍّ ، فَعِشْتُ مَعَهُ سَنَةً كَامِلَةً ، ثُمَّ مَاتَ ، فَوَرِثْتُ  
عِنْدَهُ ثَرَوَةً كَبِيرَةً .. وَذَاتَ يَوْمٍ كُنْتُ جَالِسَةً فِي بَيْتِي ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ  
عَجُورٌ شَمْطَاءٌ ، لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَقَالَتْ لِي فِي تَوَسُّلٍ وَرَجَاءٍ :  
- إِنَّ عَبْدِي بَنَانًا يَتِيمَةً ، وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ يُقَامُ عَرْسُهَا ، وَيُعْقَدُ  
قِرَائَتُهَا ، وَأَنَا وَهِيَ لَيْسَ لَنَا أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، يَكُونُ مَعَنَا فِي  
لَيْلَةِ فَرَحِنَا .. لَقَدْ جِئْتُ أَدْعُوكِ يَا ابْنَتِي ، حَتَّى تَحْضُرِي عَرْسَ هَذِهِ  
الْفَتَاةِ الْمَكْسُورَةِ الْخَاطِرِ ، فَتَفُوزِينَ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ ..  
- فَلَمَّا قَالَتِ الْعَجُورُ ذَلِكَ أَخَذَتْنِي الرَّاقَةُ وَالرَّحْمَةُ ، وَقُلْتُ

لِلْعَجُورِ :





اطمئني ياخاله ، سوف اتى معك ، واحضري عرس ابنتك كأنني  
أخثها ، سوف أحضري لها بعض مصاغى . وأجمل ثيابى ، حتى  
ترتديها فى هذه الليلة ، وسوف أزيئها بنفسى .. ثم نهضت  
وارتديت أجمل ثيابى ومصاغى ، وأخذت بعضها معى ، ثم خرجت

أسيرُ مع العجوز ، فخرجنا من رُقاقنا ، وسرنا في شوارع بغداد  
وطرقاتها ، حتى وصلنا رُقاقاً فخماً ، في حيٍّ من أرقى أحياء  
بغداد ، فدخلناه وسرنا فيه ، حتى وصلنا إلى بوابة فخمة عليها  
قبضة من الرُخام ، وخلف تلك البوابة قصرٌ فخْمٌ مُرتفعُ البُنيانِ ،  
حوّله حدائق ذات أشجار وثمار وأنهار ، وطرقت العجوزُ البابَ ،  
فتفتح البوابُ في الحال ودخلت العجوزُ تتقدمني وأنا أتعجبُ من  
ذلك وأقولُ في نفسي :

- هل هذم العجوزُ البائسةُ ثَملكُ هذا القصرُ ؟

وعندما صرنا داخل القصر ، رأيتُ من الثُحف والاثاث والرياش  
ما لا عينُ رأت ، ولا خطرُ على قلبى من قبل ، ولا تخيلتُ أن أراه ..  
ومشيتُ أنا والعجوزُ في دُهايز القصر ، حتى وصلنا إلى قاعةٍ  
فخمة ، مفروشة بالحريز ، ومُصانة بالسُمُوع والقناديل ، وفي  
صدر القاعة سريرٌ من المرمر ، مُرصع بالدرُّ والجوهر ، وعليه  
نامُوسيةٌ من الحرير ، وما إن دخلنا القاعة ، حتى خرجتُ من خلف  
النامُوسية قِفاةً غايةً في الرُوعة والحُسْن والجمال ، وما إن رأيتُني ،  
حتى رحبتُ بي قائلةً :

- أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا أُختي .. لقد انسيتني وشرفتنني





وجيرت خاطري ..

فرددت عليها التحية بأحسن منها ، وتعجبت في نفسي قائلة :  
 - هل من المعقول أن تكون هذه الصبيبة هي اليتيمة التي  
 حدثتني عنها العجوز ؟ هل من المعقول أن يكون ذلك القصر  
 قصرها ؟ وهل من المعقول أن تكون الليلة هي ليلة عرسها ؟ أنا  
 لأرى أية مظاهر توحى بذلك .. ولم يطل عجبى كثيرا ، لأن الفتاة ،  
 التي لاحظت حيرتي بادرتهني قائلة :

- اغدُرْبَنِي عَلَى أَنِّي لَجَأْتُ إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ ، حَتَّى أَحْضِرْتُكَ إِلَى هُنَا ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَمَامِي سِوَاهَا .. وَالْحِكَايَةُ بِاخْتِصَارٍ أَنَّ لِي أَخًا أَحْسَنَ مِنِّي شَكْلًا وَحُسْنًا ، وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي أَحَدِ الْأَفْرَاحِ ، وَأَعْجَبَ بِكَ ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .. هَذَا إِذَا وَافَقْتَ عَلَى هَذَا الزَّوَاجِ ، وَرَضِيتَ بِأَخِي زَوْجًا لَكَ ، بَعْدَ رُؤْيَاكَ لَهُ .. فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَ الْفَتَاةِ ، وَرَأَيْتُ الْحِيلَةَ الَّتِي احْتَالَتْ بِهَا حَتَّى أَحْضَرْتَنِي إِلَى الْقَصْرِ ، قُلْتُ لَهَا :

- لَا بَأْسَ .. أَحْضِرِي أَخَاكَ حَتَّى أَرَاهُ .. فَمَا إِنِّي قُلْتُ حَتَّى صَفَّقْتَ الْفَتَاةَ بِيَدَيْهَا ، فَظَهَرَ شَابٌّ يَخْجُلُ الْقَمَرُ مِنْ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ فِي نَفْسِي : سُبْحَانَ الْخَلْقِ .. وَقَرَأَتِ الْفَتَاةُ نَظَرَاتِ الْإِعْجَابِ فِي عَيْنِي ، فَقَالَتْ فَرِحَةٌ :

- هَلْ تُحْضِرُ الْمَأْدُونِ وَالشُّهُودَ ، حَتَّى يُعْقَدَ الْقِرَانُ بِمُوَافَقَتِكَ ؟ فَأَوْمَأَتْ لَهَا فِي خَجَلٍ بِالْمُوَافَقَةِ ، فَصَفَّقَتْ الْفَتَاةَ بِيَدَيْهَا ، فَحَضَرَ الْمَأْدُونُ فِي الْحَالِ وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ شُهُودٍ .. وَهَكَذَا تَمَّ عَقْدُ قِرَانِي عَلَى ذَلِكَ الشَّابِّ ، فَصِرْتُ لَهُ زَوْجَةً ..

وَهَكَذَا انْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِي ، لِأَعِيشَ مَعَ زَوْجِي فِي قَصْرِهِ .. وَمَضَتْ بِنَا الْأَيَّامُ سَعِيدَةً ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ اسْتَأْذَنْتُ زَوْجِي فِي الْخُرُوجِ





إلى السُّوق لشراء بعض القماش لي .. فأذن لي زوجي في  
الخروج إلى السوق ، وكانت تلك العجوز ماتزال تقيم معنا ،  
فاصطحبتها معي إلى السوق ، لأنها كانت تعرف البضائع والأسعار  
أفضل مني ، وثجيد المساومة والتقاء ماشو مناسب لي ..  
فلما وصلنا السوق اتجهت العجوز إلى دكان تاجر قماش قائلة لي :  
- صاحب هذا الدكان ولد صغير مات أبوه وترك له مالا كثيرا ..

فَقُلْتُ لَهَا :

- مَالَنَا وَنُقُودِهِ .. نَحْنُ نُرِيدُ قُمَاشًا .. ثُمَّ أَشَارَتْ لِصَاحِبِ هَذَا

الدَّكَانِ قَائِلَةً :

- هَاتِ أَفْضَلَ مَا عِنْدَكَ مِنْ قُمَاشٍ لِهَذِهِ الصَّبِيَّةِ ..

فَقَالَ الْفَتَى :

- سَمِعًا وَطَاعَةً ..

ثُمَّ أَحْضَرَ لَنَا أَفْخَمَ وَأَعْلَى قُمَاشٍ رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي وَعَرْضُهُ عَلَيْنَا ،

فَانْتَقَيْتُ مِنْهُ عِدَّةَ أَنْوَابٍ ، وَأَخْرَجْتُ كَيْسَ نُقُودِي لِأَقْدِمَ لَهُ ثَمَنَهَا ،

لَكِنِ الْفَتَى رَفُضَ ، وَقَالَ :

- هَذِهِ الثَّمَرَةُ سَتَكُونُ إِكْرَامًا لَكَ وَالْعُجُوزُ ، فَقُلْتُ لِلْعُجُوزِ :

- إِذَا لَمْ يَأْخُذْ ثَمَنُ الْقُمَاشِ رُكْبَةً إِلَيْهِ ، وَلِنَسْتَرِ مِنْ غَيْرِهِ ..

فَقَالَ الْفَتَى :

- لَأَحَاجَةَ بكَ إِلَى رَدِّ الْقُمَاشِ ، وَسَوْفَ أَخْذُ ثَمَنَهُ ، وَلَكِنْ بَدَلِ

النُّقُودِ أَخْذُ قُبْلَةً ..

فَغَضِبْتُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَانْقَبَضَ الْقُمَاشُ فِي وَجْهِهِ ، وَأَنَا أَهْمُ

بِالْإِنْصِرَافِ .. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَحَوَّلَ الْفَتَى إِلَى جِنِّي وَهَجَمَ عَلَيَّ

فَعَضَّنِي بِقُوَّةٍ فِي وَجْهِهِ ، حَتَّى مَرَّقَ قِطْعَةً لَحْمٍ مِنْ خَدِّي ، فَصَرَخْتُ





صَرَخَتْ قَوِيَّةً مِنْ شِدَّةِ الْآلَمِ ، ثُمَّ أَغْمَى عَلَى ، فَلَمَّا أَفَقَتْ لَمْ أَجِدْ أَثَرًا  
 لِلدُّكَّانِ ، وَوَجَدَتْ الْعَجُوزَ بِجِوَارِي حَزِينَةً مِنْ أَجَلِي وَقَالَتْ لِي :  
 - مَا دَفَعَ إِلَهُ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ كَانَ أَعْظَمَ .. قَوْمِي لِيَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ ،  
 فَأَشْرْتُ إِلَى الْجُرْحِ الْغَائِرِ فِي خَدِّي قَائِلَةً :  
 - وَهَذَا الْجُرْحُ الْغَائِرُ فِي خَدِّي ، مَاذَا أَفْعَلُ فِيهِ ؟ فَقَالَتْ الْعَجُوزُ :

- سأحضِرُ لكِ دواءَ يعملُ على التَّيَامُمِ وشِفائِهِ بِسُرْعَةٍ ، ولكنْ

إِيَّاكَ أَنْ تَبْوَحِي لِرُؤُوجِكَ بِمَا حَدَّثَ ..

وهكذا عُدْنَا إلى البَيْتِ سَريعًا ، فنظَّاهِرْتُ بِأُتْنِي مَريضَةً ، فلمَّا

رَأَيْتِي رُؤُوجِي قَالَ لِي :

- ما هَذَا الجُرْحُ العَمِيقُ فِي خَدِّكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ :

- وَأَنَا فِي طَرِيقِي إِلَى السُّوقِ اليَوْمَ زاحِمتُ جَمَلًا يَحْمِلُ حَطَبًا ،

فجَرَحَ الحَطَبُ خَدِّي - كما تَرَى ..

فغَضِبَ رُؤُوجِي وَقَالَ :

- غدا اذْهَبِي إلى الخَلِيفَةِ (هارونَ الرَّسِيدِ) وأَطْلُبِي مِنْهُ أَنْ يَشْفِيَ كُلَّ

حَطَّابٍ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ ، حتَّى لَا يَزاحِمُوا النَّاسَ وَيَجْرَحُوهُمْ هَكَذَا ..

فَقُلْتُ لِأَهْدِي غَضَبِي :

- لَا أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَتَحَمَّلَ ذُنُوبَ كُلِّ هَؤُلَاءِ الحَطَّابِينَ ، مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ

هَمْ بَرِيئُونَ مِنْهُ .. الحَقِيقَةُ أَنَّنِي رَكِبْتُ حِمَارًا فَتَعَثَّرَ وَسَقَطْتُ مِنْ

فَوْقِهِ عَلَى الأَرْضِ ، فَجَرَحَ خَدِّي .. فَقَالَ :

- غدا اذْهَبِي إلى الوَظِيرِ (جَعْفَرِ البِرْمَكِيِّ) وَأَقْصِرْ عَلَيْهِ مَا حَدَّثَ ،

حتَّى يَأْمُرَ بِقَتْلِ كُلِّ حِمَارٍ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ .. فَقُلْتُ لَهُ :

- هَلْ أَنْتَ مُصْبِرٌ عَلَى قَتْلِ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِسَبَبِي ، وَقَدْ جَرَى





ما جرى لي بقضاء الله (تعالى) وقدره !!

فقال غاضباً :

- لا بد من ذلك ، حتى أعلم سبب هذا الجرح . وإذا أفضى الأمرُ

قتلك أنت أيضاً قتلتك

- وصاح صئحة عظيمه . فاصبح باب العرقة ودخل منه سئحة  
عبد . وكل منيهم يحول سئعا مسئولا . فاشار اليهم . فسحبوني  
ورموني في منتصف العرقة . وشار إلى رئيسهم قائلا  
- صرئها بالسيف ياسعد مرفها نصفين . ثم ارفوها في بئر  
دحلة . فهذا حزاء كل من تسول له نفسه حياة الامانة والكذب  
فرفع العند (سعد) يده بالسيف عاليا وقال :  
- استعدى لثموت . وان كابد لك حاجة فاذكريها حتى تقصدها  
لك . قتل ان يقصى احلك  
فنوسلت إليه فاسه  
- يا عند الخير . نجهل على قللا فاسي مطلوبة وما جيت دنا .  
حتى استحق عليه العتل  
وتذكرت حالي وكيف انصفت من العر إلى الدل . بعتر ديب  
حيته ورحت انكي مسنقطعة روحي . وفي هذه اللحظة دخلت  
العحور واحدت مسنقطعة هي الاخرى . داكرو له ماحدث . وانني  
لارب لي فيما حدث من ذلك الجسي اللثم . وطلت تلج عنبه حتى  
قال لها :

- قد عفوت عنها وبراغت عن قتلها ولكن لاند لي ان اتركها





جسدها أثرا لا يُمحى سنة أبدا ..

وأحضر سوطا ، ثم انهال به على ضربا ، حتى غابت عن الوعي ،

ثم أمر عبيده أن يحملوني في أثناء الليل ويلقون بي في بيتي ..

وهكذا أخذت أدوي آثار ضرب السياط على كتفي وأضلاعي ، عدة

شهور ، حتى شفيت ، لكن آثارها ظلت باقية حتى الآن ..

ثُمَّ تَعَرَّفْتُ أُخْتِي هَذِهِ صَاحِبَةَ الدَّارِ ، وَرَأَيْتُ عِنْدَهَا هَاتَيْنِ  
الْكَلْبَتَيْنِ ، وَأَخْبَرْتُهَا بِخَبْرِي ، وَأَخْبَرْتَنِي هِيَ بِخَبَرِهَا .. ثُمَّ  
انْضَمْتُ إِلَيْنَا هَذِهِ السَّيِّدَةُ ، حَتَّى أَخَذْتُ تَقْوَمُ بِشِرَاءِ الْأَشْيَاءِ لَنَا ..  
وَهَكَذَا عِشْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ ، حَتَّى حَدَثَ مَا حَدَثَ وَجِئْتُمْ إِلَى دَارِنَا  
أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ ..

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ (هَارُونَ الرَّشِيدُ) هَذِهِ الْحِكَايَةَ تَعَجَّبَ عَجَبَ  
الْعَجَبِ وَقَالَ مُخَاطِبًا صَاحِبَةَ الْبَيْتِ :

- هَلْ تَسْتَطِيعِينَ إِحْضَارَ تِلْكَ الْعُفْرِيقَةِ الَّتِي سَحَرْتَ أُخْتِيكَ  
كَلْبَتَيْنِ ؟

فَقَالَتْ صَاحِبَةُ الْبَيْتِ :

- لَقَدْ أَعْطَيْتَنِي شَيْئًا مِنْ شَعْرِهَا ، وَقَالَتْ لِي : إِذَا أَرَدْتَ إِحْضَارَ  
فَأَحْرِقِي شَعْرَةً مِنْهُ وَسَوْفَ أَحْضَرُكَ لَكَ فِي الْحَالِ ..  
سَأَحْضَرُهَا حَالًا ..

وَبِمُجَرَّدِ أَنْ أَحْرَقْتُ صَاحِبَةَ الْبَيْتِ الشَّعْرَةَ ، حَضَرَتْ الْجَنَّةُ ،  
وَكَانَتْ مِنَ الْجَنِّ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْخَلِيفَةُ (هَارُونَ الرَّشِيدُ)  
الْقَتَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَتْ :

- اَعْلَمُ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ أَنَّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ قَدْ صَنَعَتْ مَعِيَ جَمِيلًا





ومغروفا ، حيث أنقذت حياتي وقتلت عدوي ، فلما علمت  
صنعة أختها معها سحرتهم كليتين ..

فقال لها (هارون الرشيد) :

- وَأَنَا أَرْجُوكِ أَنْ تُخَلِّصِيَهُمَا مِنْ سِحْرِهِمَا ..

فَقَالَتِ الْجَنِّيَّةُ :

- سَمْعًا وَطَاعَةً أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ ..

وَخَلَّصَتْهُمَا فِي الْحَالِ مِنْ سِحْرِهِمَا ، فَعَادَتَا فَتَاتَيْنِ ، وَشَكَرَ

الْخَلِيفَةُ (هَارُونَ الرَّشِيدُ) الْجَنِّيَّةَ .. ثُمَّ قَالَ ..

- الْآنَ نَشْرَعُ فِي بَحْثِ شَكْوَى هَذِهِ السَّيِّدَةِ الَّتِي عَلَى جَسَدِهَا أَثَارُ

ضَرْبِ السَّيَاطِ .. لَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ أَوَّلًا مَنْ فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ ، حَتَّى نَحْضُرَهُ

وَنُعَاقِبَهُ ..

فَقَالَتِ الْجَنِّيَّةُ :

- إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ بِهَا أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ هُوَ وَلَدُكَ (الْأَمِينُ) .. وَحَكَتْ

لَهُ الْعَقْرَبِيَّةَ جَمِيعَ مَا جَرَى ، فَاحْضَرُ وَلَدَهُ (الْأَمِينُ) .. وَسَأَلَهُ عَنْ

صِحَّةِ ذَلِكَ فَلَمْ يَنْكَرْهُ ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِزَوَاجِهِ مِنْهَا ، أَمَّا صَاحِبَةُ

الْبَيْتِ وَاخْتَارَهَا فَقَدْ تَزَوَّجَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِأَحَدِ الصُّعَالِيكِ ،

الَّذِينَ رَدَّاهُمْ (هَارُونَ الرَّشِيدُ) إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَعَادَ كُلًّا مِنْهُمَا مُلِكًا عَلَى

مَمْلَكَتِهِ ..

(تَمَّتْ)